

التفسح والتوسيع في المجالس

<"xml encoding="UTF-8?>



من الملاحظ أن القرآن الكريم الذي هو بمثابة دستور لجميع المسلمين لم يهمل حتى أمثال هذه المسائل الجزئية الأخلاقية في الحياة الاجتماعية للمسلمين فأشار إليها بما يناسبها ضمن التعليمات الأساسية حتى لا يظن المسلمون أنه يكفيهم الالتزام بالمبادئ العامة الكلية فأرشدنا سبحانه وتعالى إلى أدب إسلامي آخر من آداب المجالس حيث أن القادر إذا وجد في المجلس ضيقاً فعل الآخرين التوسيعة وفسح المجال له وإذا طلب القيام والوقوف إما لتهيئة المجال للآخرين أو لأجل انتهاء المجلس فتنبغي الاستجابة أيضاً بقوله عزّ من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا} المجادلة:

١١/

قال المفسرون التفسح بمعنى التوسيع فحين يدخل شخص إلى المجلس فإن المرجو من الجالسين الانفراج والفسحة له وأن يخلوا له مجالاً لئن يجلس معهم فيه كي لا يبقى في حيرة وخجل وهذا الأدب أحد عوامل تقوية أواصر المحبة والود لذا جاء الأمر به (تفسحوا) وجملة (يفسح الله لكم) أي في مجالس الجنة مثلاً وهو ثواب يعطيه الله عز وجل للأشخاص الذين يتزمون بهذه الآداب في الدنيا وبحلاظة كون الآية مطلقة فإن لها مفهوماً أوسع يشمل كل فسحة وسعة إلهية سواء كانت في فسحة الجنة أو في فسحة الدنيا أو فسحة الروح والفكر أو في فسحة العمر والحياة أو في فسحة المال والجاه والرزق والعلم وما إلى غيرها

ولا عجب من فضل الله تعالى أن يجازي على هذا العمل الصغير البسيط بمثل هذا الأجر الكبير لأن الأجر بقدر كرمه ولطفه لا بقدر أعمالنا فيما أن المجالس تكون مزدحمة أحياناً بحيث يتذرع الدخول إلى المجلس في حالة عدم التفسح أو القيام وإذا وجد مكان فإنه غير كاف للقادمين مثلاً في بعض الأحيان أشار بقوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا} أي إذا قيل لكم قوموا وانفرجوا وهبوا مكاناً للقادمين ولا تتضجروا أو تتأذوا من الوقوف لأن القادمين أحياناً يكونون أحوج إلى الجلوس من الجالسين في المجلس وذلك لشدة التعب أو الكهولة أو لاحترام الخاص لهم وأسباب أخرى مما يجب على الحاضرين الإشار بالمكان على أنفسهم ومراعاة هذا الأدب الإسلامي والمواظبة عليه كما هو سبب نزول الآية حيث نقل المفسرون أنها نزلت يوم الجمعة وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ في (الصفة) وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر قد سبقو إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فرددوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينظرون أن يوسع لهم فعرف النبي (صلى الله عليه وآله) ما يحملهم على القيام فشق ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه فشق ذلك على مَنْ أقيمت من مجده وعرف النبي (صلى الله عليه وآله) الكراهة في وجوههم

فقال المنافقون ألسنكم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأينا قد عدل على هؤلاء أن قوماً

أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه... فبلغنا أن رسول الله(صلى الله عليه وآلـهـ) قال: (رحم الله رجلاً يفسح لأخيه) فجعلوا يقـومـونـ بـعـدـ ذـلـكـ سـرـاعـاًـ فـيـفـسـحـ الـقـومـ لـإـخـوـانـهـ وـنـزـلـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ

ثم إن الأحاديث الشريفة قد تعرضت إلى آداب المجلس أيضاً فعن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآلـهـ): (إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه وأوسع له في مجلسه فليأته فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه وإن لم يوسع له أخوه فلينظر أوسع مكان يجده فليجلس فيه) (عشرة الوسائل) وعنـهـ(صلى الله عليه وآلـهـ) أيضاً (ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع لئلا يشق بعضهم على بعض) (عشرة الوسائل) وغيرها مئات الروايات عن المعصومين الأطهار(عليهم السلام) حول آداب المعاشرة مما يرشدنا إلى مبلغ اهتمام الإسلام بالآداب الاجتماعية حيث تتناول حتى طريقة الجلوس وطريقة التكلم وطريقة النظر إلى الآخرين والابتسامة والمصافحة والمعانقة والمزاح والإطعام وطريقة كتابة الرسائل واتخاذ الأصدقاء وغيرها

وقد حددت التعليمات المناسبة لكل منها جمعها المحدث الكبير الشيخ الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة ج ٨ حيث رتبها في ١٦٦ باباً، ثم تطرق سبحانه وتعالى إلى الجزاء والأجر حيث قال: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات} وهو إشارة إلى أمر النبي(صلى الله عليه وآلـهـ) البعض بالقيام واعطاء أماكنهم للقادمين فإنه لهدف إلهي مقدس واحتراماً للسابقين في العلم والإيمان مما له الدرجات العظيمة والعالية التي يعطيها الله لمثل هؤلاء الأشخاص الذين يتفسحون للقادمين في مجالسهم للقادمين لهم درجة وأولئك الذين يؤثرون ويعطون أماكنهم ويتصفون بالعلم والتقوى لهم درجات أعلى وبما أن البعض يؤدي هذه التعليمات ويلتزم بهذه الآداب عن طيب نفس ورغبة الآخرون يؤدونها عن كراهيـةـ أوـ لـرـيـاءـ وـالـتـظـاهـرـ وـالـنـفـاقـ وـ...ـ فـيـضـيـفـ تعـالـىـ فيـ نهايةـ الآـيـةـ {وـالـلـهـ بـمـاـ تـعـمـلـونـ حـبـيرـ}.